بلغ

وغنائمه وذكر ما فيه عبرة عند غلبة العدو من إعانتهم العدو على المسلمين والطعن في الدين وإظهار العداوة
والشماتة والجد في إظهار نور الإسلام وإدحاض أهله وغير ذلك مما يطول ذكره والله المستعان
قوله في الصحيح أي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احرص على ما
ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان
كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان اختصر المصنف
رحمه الله هذا الحديث وتمامه عن النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن
الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن أي في معاشك ومعادك والمراد الحرص
على فعل الأسباب التي تنفع العبد في دنياه وأخراه مما شرعه الله تعالى لعباده من الأسباب الواجبة
والمستحبة والمباحة ويكون العبد في حال فعله السبب مستعينا بالله وحده دون كل ما سواه ليتم
له سببه وينفعه ويكون اعتماده على الله تعالى لأنه في ذلك تعالى هو الذي خلق السبب والمسبب ولا ينفعه
سبب إلا إذا نفعه الله به فيكون اعتماده في فعل السبب على الله تعالى ففعل السبب سنة والتوكل على
الله توحيد فإذا جمع بينهما تم له مراده بإذن الله قوله ولا تعجزن بنون التوكيد الخفيفة
نهاه صلى الله عليه وسلم عن العجز وذمه والعجز مذموم شرعا وعقلا وفي الحديث الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني فأرشده صلى الله عليه وسلم
في هذا الحديث إذا أصابه ما يكره فلا يقل لو أني فعلت كذا لو كذا لكان كذا وكذا ولكن يقول
قدر الله وما شاء فعل أي هذا قدر الله والواجب التسليم للمقدور والرضا به واحتساب الثواب
عليه قوله فإن لو تفتح عمل الشيطان أي لما فيها من التأسف على ما فات والتحسر ولوم القدر وذلك ينافي
الصبر والرضا والصبر واجب والإيمان بالقدر فرض قال تعالى ما أصاب من مصيبة في الأرض
ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا
تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الصبر
من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد لا إيمان لمن لا صبر له وقال الإمام أحمد رحمه الله الصبر في تسعين
موضعا من القرآن قال شيخ الإسلام رحمه الله وذكر حديث الباب بتمامه ثم قال في هذا الحديث لا تعجز
عن مأمور ولا تجزع من مقدور ومن الناس من يجمع كلا الشرين فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالحرص
على النافع والاستعانة بالله والأمر يقتضي الوجوب وإلا فالاستحباب ونهى عن العجز

وقال

وقال إن الله يلوم على العجز والعاجز ضد الذين هم يشتهرون لهذا الأمر بالصبر والنهي عن الجزع مأمور به
في مواضع كثيرة وذلك أن الإنسان بين أمرين أمر يفعله فعليه أن يفعله ويحرص عليه ويستعين
الله ولا يعجز وأمر أصيب به من غير فعله فعليه أن يصبر عليه ولا يجزع منه ولهذا قال بعض العقلاء
ابن المقفع أو غيره الأمور أمران أمر فيه حيلة فلا تعجز عنه وأمر لا حيلة فيه فلا تجزع منه وهذا
في جميع الأمور لكن عند المؤمن الذي فيه حيلة هو ما أمر الله به وأحبه له فإن الله لم يأمره إلا بما فيه حيلة له
إذ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها وقد أمره بكل خير له فيه حيلة وما لا حيلة فيه هو ما أصيب به من غير
فعله واسم الحسنات والسيئات يتناول قسمين الأفعال مثل قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر
أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها ومثل قوله إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها
ومثل قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ومثل قوله تعالى بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته
إلى آيات كثيرة من هذا الجنس والله أعلم والقسم الثاني ما يجري على العبد بغير فعله من النعم والمصائب
كما قال تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك الآية فإنها فالحسنة في هاتين
الآيتين النعم والسيئة المصائب وهذا هو القسم الثاني من القسمين وأظن شيخ الإسلام رحمه الله ذكره
في هذا الموضع ولعل الناسخ أسقطه والله أعلم ثم قال رحمه الله تعالى فإن الإنسان ليس مأمورا أن ينظر إلى القدر
ما يؤمر به من الأفعال ولكن عند ما يجري عليه من المصائب التي لا حيلة له في دفعها فما أصابك بفعل الآدميين
أو بغير فعلهم فاصبر عليه وارض وسلم قال تعالى ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه
ولهذا قال آدم لموسى أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن أخلق بأربعين سنة فحج آدم موسى لأن موسى
قال له لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فلامه على المصيبة التي حصلت بسبب فعله لا لأجل كونها ذنبا وأما كونه
لأجل الذنب كما يظنه طوائف من الناس فليس مرادا بالحديث فإن آدم عليه السلام كان قد تاب من الذنب
والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ولا يجوز لوم التائب باتفاق الناس انتهى قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى
فتضمن هذا الحديث أصولا عظيمة من أصول الإيمان أحدها أن الله سبحانه موصوف بالمحبة وأنه يحب حقيقة صوابه مقتضى صح
الثاني أنه يحب مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقها فهو القوي ويحب المؤمن القوي وهو وتر يحب الوتر
وجميل يحب الجمال وعليم يحب العلماء ونظيف يحب النظافة ومؤمن يحب المؤمنين ومحسن يحب المحسنين
وصابر يحب الصابرين وشاكر يحب الشاكرين ومنها أن محبته للمؤمنين تتفاضل فيحب بعضهم أكثر
من بعض ومنها أن سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده والحرص هو بذل الجهد
واستفراغ الوسع فإذا صادف ما ينتفع به الحريص كان حرصه محمودا وكماله كله في مجموع هذين الأمرين
أن يكون حريصا وأن يكون حرصه على ما ينتفع به فإن حرص على ما لا ينفعه أو فعل ما ينفعه بغير حرص

Copyright © King Saud University